# براءة

## الحق الطبيعى لكل أمة أن تحمى شعبها من كل ما يعارض عقائدها وتقاليدها وأن تطهر أرضها من كل أعدائها

أيجوز أن تقيم فى أرض الدولة طوائف من الناس لا يخضعون لسلطان الدولة؟ أم يجوز أن تعيش دولة فى قلب دولة أخرى بحيث تتعارض قوانين هذه مع قوانين تلك، وبحيث تتضارب العقائد والتقاليد فى كلتا الدولتين؟

إن الأساس الطبيعى فى تكوين الدول أن يكون لكل أمة وطنها الخاص بها، وأن يكون هذا الوطن ملكًا خالصًا لأبنائها، يعيشون فيه أحرارًا، لا يعارضهم معارض فى عقائدهم ولا فى تقاليدهم.

على هذا الأساس الطبيعى قامت دولة الإسلام فى جزيرة العرب، فقد أخذت - بعد أن خضعت لها مكة أم القرى، وبعد أن دانت لها العرب سكان الجزيرة - تتخذ الجزيرة قاعدة

لها، وتفرض عليها مبادئها وقوانينها، وأصبح من حقها - بل من واجبها - أن تحمى شعبها من كل ما يعارض هذه المبادئ والقوانين، وأن تطهر أرضها من كل من يخالفها فى العقيدة والتقاليد.

وعقيدة الإسلام هى الإيمان بالله وحده لا شريك له، وعقيدة المشركين هى الإيمان بالله وبغيره من الشركاء والأنداد. والإسلام إنما جاء لإبطال هذه العقيدة من أساسها، وإبطال ما يقوم عليها من تقاليد؛ فكان بقاء أى أثر من آثارها أو من تقاليدها فى قلب الوطن الإسلامى شيئًا غير طبيعى، وأمرًا يعتبر السكوت عليه فى الوضع الدولى شذوذًا لا يقره قانون ولا يقبله منطق.

وكان من عادة العرب فى الجاهلية أن يأتوا إلى البيت ليحجوا، وكان من تقاليد حجهم أن يطوف رجال منهم عراة ليس على أحد منهم ثوب يستره.. يعظمون بذلك حرمة البيت، ويقول أحدهم: أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى، ليس علىّ شىء من الدنيا خالطه الظلم. وهو أمر لا يتفق مع مبدأ الإسلام من ضرورة ستر العورات، وحماية الإنسان من كل مظاهر الإباحية والتبذل. كذلك كان البيت الحرام - وهو البيت الذى بنى لعبادة الله وحده، والذى كان أول بيت وضع للناس على أساس

التوحيد الخالص ـ لا يزال يحج إليه من لا يؤمن بالله وحده، ولا يزال يطوف به من يشرك بالله غيره من الأنصاب والأزلام، ومن لا يزال يؤمن بعقائد الجاهلية وتقاليدها.

فكان من غير الطبيعى أن يتقاسم التوحيدُ والشركُ هذا البيت، وأن يطوف به المسلمون والمشركون فى وقت معًا؛ كما كان من غير الطبيعى أن يعيش فى الوطن الإسلامى طوائف من الناس لا يؤمنون بمبادئه ولا يخضعون لسلطانه؛ كذلك كان من غير الطبيعى أن تظل هذه الطوائف مقيمة فى أرض الإسلام وهى عناصر معادية للإسلام وأهله، ظلت دهرًا تناصب المسلمين العداوة، وتتحين فيهم الفرصة، ولا تزال تتربص بهم الدوائر حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا.

كان بقاء هذه العناصر فى أرض الإسلام أمرًا غير مأمون العواقب، كما كان فى الوقت نفسه شيئًا غير طبيعى فى تكوين الأمم؛ فكان لا بد من تصحيح هذا الوضع حتى يتفق مع الوضع الطبيعى، فإما أن تؤمن هذه الطوائف بمبادئ الإسلام وتخضع لسلطانه، وإما أن تخرج إلى أرض غير أرضه؛ فإن لم يؤمنوا أو يخرجوا كان لدولة الإسلام أن تنذرهم، وكان لها بعد إنذارهم أن تستعمل حقها فى استخدام القوة، حتى تخضعهم لسلطانها أو تخرجهم من أرضها؛ وهذا ما كان من موقف

الإسلام مع شراذم العرب الذين ظلوا على شركهم فى جزيرة العرب.. ذلك أن قبائل العرب أخذت - بعد عودة رسول الله ﷺ من غزوة تبوك - تفد على المدينة من أنحاء الجزيرة معلنة إسلامها وانضواءها تحت راية الإسلام، حتى أسلمت الجزيرة كلها، فلم يبق على شركه فيها إلا شراذم قليلة، وأوْزاعٌ متفرقة فى نواحيها.

## لم يكن من الطبيعى أن تتضارب العقائد حول البيت الحرام وأن يظل المشركون يحجون إليه

فلما أقبل موسم الحج من السنة التاسعة، اجتمع المسلمون والمشركون حول البيت يؤدون مناسك الحج، وكانوا يجتمعون منذ فتح مكة فى كل موسم، وكل يؤدى مناسكه بحسب تقاليد عقيدته؛ المسلمون يؤدونها كما علمهم الإسلام، والمشركون يؤدونها على تقاليد الجاهلية الأولى.. المسلمون يطوفون مستورين، متجملين بكل ما يليق بقداسة المكان وكرامة الإنسان؛ والمشركون يطوفون مكشوفين، متحللين من الأوضاع الكريمة والآداب اللائقة.. المسلمون يلبون قائلين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك»، والمشركون يلبُّون قائلين: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك».. المسلمون يهللون ويكبرون، والمشركون يصفقون ويَصْفِرون..

عقائد متضاربة، وتقاليد متناقضة، وفوضى لا تليق بكرامة دولة، ولا تناسب وحدة أمة، ولا تتفق مع الغرض الأساسى من حج هذا البيت، وهو اجتماع الناس فى هذا المكان الواحد، على أساس من المحبة والألفة والوفاق، يعبدون ربًّا واحدًا، ويَنْسِكُون نُسُكًا واحدًا، ويدينون بدين واحد؛ وتجمع بينهم مظاهر الوحدة فى العقيدة والشعور، وفى المظاهر والأشكال، وفى العادات والتقاليد.. إنه الاجتماع الموسمى الذى تعقده أمة الإسلام فى عاصمة الإسلام، لتدعيم الروابط بين جماعاتها وطوائفها، ومزج عناصرها المختلفة فى مزاج يوائم بينها، ويجعلها أمة واحدة متماسكة البنيان وثيقة العرى.. فكيف يمكن أن يتسنى لها ذلك وبين ظهرانيْها هذه العناصر الغريبة؟

كان من الضرورى إذن لأمن الدولة وسلامة أغراضها، أن تحدد موقفها إزاء هذه العناصر الغريبة عنها، وأن تصحح وضعها معها على النحو المألوف فى كل دولة.. فلما كان موسم الحج من هذه السنة، نزل الوحى على رسول الله ﷺ بصدر سورة «براءة» يحدد موقف المسلمين من بقايا المشركين فى جزيرة العرب، ويضع الحد الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء.

## الوحى يحسم الموقف بنزول سورة براءة

قال الله تعالى: ﴿براءَةٌ مِن الله ورسُولِه إلى الَّذِين عَاهدْتُم مِن المُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فى الأرضِ أرْبعةَ أشهُر وَاعلَمُوا أنَّكُمْ غَيْر مُعْجزى الله وأنَّ الله مُخْزى الْكافِرين * وأذَانٌ مِن الله وَرُسولِهِ إلى النَّاسِ يوْمَ الحجِّ الأكبر أنَّ الله بَرِىءٌ مِن المُشْرِكِينَ ورَسُولُه فَإنْ تُبْتُمْ فهو خيْرٌ لكُمْ، وَإن تولَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجزى الله وبشِّر الذِين كفرُوا بِعذَاب ألِيم * إلَّا الَّذِين عاهدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِين ثُمَّ لمْ ينقُصُوكُمْ شَيْئًا ولَمْ يُظَاهِرُوا علَيْكُم أحدًا فَأتمُّوا إلَيْهِمْ عهْدَهمْ إلَى مُدَّتِهِمْ إنَّ الله يُحِبُّ المُتَّقِين * فإذا انْسلخَ الأشْهُرُ الحرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِين حيْثُ وَجَدْتموهُمْ وخذُوهمْ واحْصُرُوهُمْ واقعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد فإنْ تَابُوا وأقَامُوا الصَّلاة وآتَوُا الزَّكَاةَ فخلُّوا سبيلهُمْ إن الله غفُورٌ رحيم * وإنْ أحدٌ مِن المُشرِكِين اسْتجارك فأجِرْهُ حتَّى يَسْمعَ كَلام الله ثم أبْلِغْهُ مأمَنهُ، ذلِك بأنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يعْلمُونَ*

﴿كيْفَ يكُونُ لِلمُشْرِكِين عَهْدٌ عِنْدَ الله وعِنْد رسُوله؟ إلَّا الذِين عاهدْتُمْ عِنْد المَسْجدِ الحرام فَما اسْتَقَامُوا لكُمْ فاسْتقِيمُوا لهُمْ، إن الله يحِبُّ المُتَّقِين * كيْف وإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يرْقُبُوا فِيكُمْ إلاًّ ولاذِمَّة يُرْضُونَكُمْ بأفْواهِهِمْ وتَأبى

قُلوبُهم وأكثَرُهُم فاسِقُونَ * اشتَرَوْا بآياتِ الله ثَمنًا قليلًا فصَدُّوا عنْ سبيلِهِ إنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يعملُونَ * لاَ يرْقُبُونَ فى مُؤمن إلًّا ولاَ ذِمَّةً وأُولئكَ هُمُ المعْتدُون * فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاة وآتَوُا الزَّكاةَ فإخوانُكُمْ فى الدِّين ونُفصِّلُ الآياتِ لِقوْمٍ يعْلمُون * وإنْ نَكثُوا أيْمانَهُمْ مِنْ بعْدِ عهْدِهِمْ وطَعَنوا فى دِينِكُم فقَاتِلُوا ائِمَّةَ الْكُفْرِ إنَّهُمْ لاَ ايْمانَ لَهُمْ، لَعَلَّهُمْ ينْتَهُون *

﴿ألاَ تُقاتِلُونَ قوْمًا نكثُوا ايْمَانهُمْ وهمُّوا بإخْرَاجِ الرَّسُول وَهُم بَدءُوكُمْ اوَّل مرَّة اتَخْشوْنَهُمْ فالله أَحقُّ أنْ تَخشَوْهُ إنْ كُنتُمْ مؤمِنين * قَاتِلُوهُمْ يُعذِّبْهُمُ الله بِأيْدِيكُم ويخْزِهِمْ وَينْصرّكُمْ علَيْهمْ ويَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤمِنين * ويُذْهِبْ غَيْظَ قلُوبهمْ؛ ويَتُوبُ الله علَى مَنْ يشَاءُ والله عليمٌ حَكيمٌ * أمْ حسِبْتُمْ أنْ تُتْرَكُوا ولمَّا يعْلمِ الله الَّذِين جَاهدُوا مِنكُمْ ولَمْ يتَّخِذُوا مِنْ دُون الله ولا رسولهِ ولاَ المُؤمِنين ولِيجةً والله خبيرٌ بِما تَعْملُون *

﴿مَا كان لِلمُشْرِكين أنْ يعْمُروا مساجدَ الله شاهِدين علَى أنْفُسِهِمْ بالْكفر أُولَئكَ حَبِطتْ أعْمالُهمْ وفى النَّار هُمْ خالِدون * إنَّما يعْمُر مساجدَ الله منْ آمن بالله والْيومِ الآخِرِ وأقَامَ الصَّلاة وآتى الزَّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إلا لله فعسى أُولئكَ أنْ يكُونُوا مِن المُهتدِين * أجعَلْتُمْ سِقايةَ الحاجِّ وعمارَةَ المسْجدِ الحرام كمَنْ آمنَ بالله والْيوْمِ الآخِرِ وجاهد فى سبيل الله لاَ يسْتَوُون عِنْد الله

والله لَا يهْدِى القوْمَ الظَّالِمين * الَّذين آمنُوا وهاجرُوا وَجاهدُوا فى سَبيلِ الله بِأمْوالِهِمْ وأنفُسِهِمْ أعظمُ درجةً عِنْد الله وَأُولئك هُمُ الفائزُونَ * يُبشِّرهُمْ ربُّهُمْ برَحْمَةٍ مِنْهُ ورِضوَانٍ وجنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعيمٌ مُقِيم، خالِدِين فِيها أبَدًا إنَّ الله عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيم *

﴿يَا أيُّها الَّذين آمنُوا لَا تتَّخذوا آباءكُمْ وإخْوانَكمْ أوْلياءَ إنِ اسْتحَبُّوا الْكُفْرَ علَى الإيمان ومنْ يتوَلَّهُمْ مِنْكمْ فأُولئك هُمُ الظَّالِمُون * قَلْ : إنْ كان آباؤكمْ وأبْنَاؤكُمْ وإخْوانُكُمْ وأزْواجُكمْ وعشيرتُكمْ وأمْوالٌ اقْترفْتمُوها وتجارةٌ تخْشوْن كسادَها ومَساكِنُ تَرْضوْنها أحبَّ إلَيْكمْ مِن اللهِ ورسُوله وجهادٍ فى سبيله فتربَّصُوا حتى يأْتِىَ الله بِأمْرِهِ والله لا يهْدِى الْقوْم الفَاسِقِين *

﴿لقد نصرَكُم الله فى مواطِن كَثِيرَةٍ، ويوْمَ حُنَيْن إذ أعْجبتْكُم كثْرتُكُمْ فلَمْ تُغْنِ عنكمْ شيْئًا وضاقَتْ عليْكُم الأرْضُ بِماَ رحُبتْ ثُم وَلَّيْتُمْ مُدبِرين * ثمَّ أنزل الله سكِينَتَهُ علَى رسوله وعلَى المُؤْمنينَ، وأنزلَ جَنودًا لَمْ تَروْهَا وعذَّب الَّذينَ كَفرُوا وذلِكَ جزاءُ الكَافِرينَ * ثُمَّ يتُوبُ الله مِنْ بعْدِ ذلِك علَى منْ يشاءُ والله غفُورٌ رحِيم *

﴿يَا أيُّهَا الَّذين آمنوا إنَّما المُشْركُون نجَسٌ فلَا يَقْرَبُوا المسْجدَ الحَرامَ بَعْد عامِهِمْ هٰذَا وإنْ خِفتمْ عَيْلةً فَسوْف يُغْنِيكُم

الله مِنْ فَضلِهِ إن شَاءَ إن اللهَ عليمٌ حَكيمٌ﴾[1].

وفى هذه الآيات يعلن الوحى براءة الله ورسوله من هؤلاء المشركين، وينذرهم بنبذ ما بينهم وبين المسلمين من عهود الأمان والسلام، ويترك لهم المهلة الكافية ليتدبروا أمرهم ويحددوا موقفهم؛ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فهم إخوان المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن أصروا على الشرك وهم فى أرض الإسلام؛ فالويل لهم والخزى والعذاب الأليم؛ وعلى المؤمنين أن يملئوها عليهم خيلا ورجالا، وأن يشنُّوها عليهم حربًا شعواء لا هوادة فيها ولا رحمة، وأن يقطعوا كل ما بينهم وبينهم من صلات المودة ووشائج القربى، لأنهم عناصر فوضى واضطراب، وأهل غدر وخيانة، يشهد ماضيهم على أعمالهم ويدل على نواياهم، فليسوا أهلا لأن يؤمَنُوا على الإقامة بين المسلمين، ولا أن يَعْمُروا مساجد الله وهم كافرون.. ﴿إنما يعمُر مَسَاجدَ الله مَنْ آمنَ بالله واليَومِ الآخرِ وأقام الصَّلاة وآتى الزَّكاة، ولم يَخْشَ إلا الله﴾.

وتمضى الآيات فى تحريض المسلمين على جهاد

---

(١) سورة التوبة الآيات ١ - ٢٨.

المشركين، وتذكرهم بمواقف النصر التى أيدهم الله بها، ثم تنتهى بهذا القرار الحاسم الجازم.. ﴿يٰأَيُّها الذينَ آمنُوا إنما المشركونَ نَجَسٌ فلا يقرَبُوا المسْجِد الحرام بعد عَامِهم هذا﴾. وينتهى تحديد العلاقة بين المعسكرين تحديدًا فاصلا واضحًا لا رجعة فيه ولا تردد.

## أمير الحج ينادى بها فى الناس

وكان رسول الله ﷺ قد بعث أبا بكر أميرًا على الحج فى هذا الموسم؛ فلما نزلت هذه الآيات عليه بعد انصراف أبى بكر، بعث فى أثره بها علىَّ بن أبى طالب، ليعلنها على الناس فى يوم الحج الأكبر.

روى محمد بن إسحاق أنه «لما نزلت «براءة» على رسول الله، صلى الله عليه وسلم - وكان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس - دعا عليًّا فقال: «اذهب بهذه القصة من سورة براءة، وأذِّنْ فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنًى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان؛ ومن كان له عهد عند رسول الله فهو إلى مدته».. فخرج علىّ على ناقة رسول الله العضباء، حتى أدرك أبا بكر فى الطريق؛ فلما رآه أبو بكر قال: «أمير أو مأمور»؟

فقال: «بل مأمور». ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج في تلك السنة، على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية؛ حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذَّنَ في الناس، بالذي أمره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: «يأيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته». فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فكان هذا براءةً فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى».

## ترك الإسلام للمشركين الفرصة الكافية بعد إنذارهم

«لقد اختير يوم جامع حافل - يوم النحر بمنى - حيث يجتمع الحجيج من كل فج، ويتلاقى الناس من كل واد.. اختير هذا اليوم الجامع الحافل، ليعلن الإسلام على رءوس الأشهاد نبذ عهود المشركين إليهم، وإعلان الحرب العامة عليهم؛ فلم يُبيِّتهم الإسلام غدرًا، ولم يأخذهم بغتة، ولم يجازهم على نقض عهودهم معه بأخذهم على خلسة وهم غافلون، إنما أنذرهم علانية ثم أعطاهم مُهلة كافية.. أربعة

أشهر لمن كان له عهد عام غير محدد، ونهاية الأجل لمن كان له عهد معلوم.. أربعة أشهر يسيحون فيها فى الأرض ينظمون أمورهم ويدبرون أحوالهم؛ من كانت له تجارة صفاها، ومن كان له دَيْنٌ تقاضاه، ومن كانت له صلات دبرها، ومن كان مسافرًا عاد، ومن كان يهم بسفر حسَب حساب الحالة الجديدة فى العلاقات.. إنه العدل مع الخصوم والشرف مع الأعداء، والنظافة والنصاعة، والأفق الكريم الوضىء الذى لم يبلغه إلا الإسلام..

«كان ذلك فيما يتعلق بمشركى الجزيرة وحدها، باعتبارها مهد الإسلام ومَحْضنَه، وقاعدة الدعوة ومثابة العقيدة؛ فأما المشركون خارجها، فالأمر بينهم وبين الأمة المسلمة ألا يقفوا بالقوة فى سبيل الدعوة الإسلامية، وألا يفتنوا المسلمين عن دينهم؛ وألا يقاتلوا المسلمين أو يظاهروا عليهم أو يخرجوهم من ديارهم»[1].

## موقف الإسلام من أهل الكتاب

وكما حدد الوحى موقف المسلمين من المشركين الذين يعيشون فى أرض الإسلام حدده كذلك من أهل الكتاب الذين

---

(١) فى ظلال القرآن.

يعيشون فيها أو يحيطون بأطرافها؛ فأما المشركون فليس لهم أن يساكنوا المسلمين فى مساكنهم أو يعاشروهم فى أوطانهم، ولا بد للمسلمين أن يقاتلوهم حتى يسلموا أو يُقتلوا أو يخرجوا من الأرض؛ وأما أهل الكتاب فلا بأس من أن يساكنوا المسلمين فى أوطانهم ويخالطوهم فى معايشهم، على أن يكون الأمر بينهم وبين المسلمين قائماً على السلم والأمن ورعاية حق الجوار، فإن بدا للمسلمين منهم ريح غدر أو محاولة فتنة أو اعتداء، كان لهم أن يقاتلوهم حتى يَخْضُدوا شوكتهم ويخضعوهم لسلطانهم..

وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿قاتِلُوا الَّذين لا يُؤمِنُون بالله ولا بِالْيوم الآخر ولا يحرِّمُون ما حرَّم الله ورسولهُ ولا يَدينُونَ دينَ الحق من الَّذين أُوتُوا الْكِتَابَ حتَّى يُعْطُوا الجِزْية عنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

«فوصف أهل الكتاب الذين بيَّن حكم قتالهم بأربع صفات سلبية، هى علة عداوتهم للإسلام ووجوب خضوعهم لحكمه فى داره، لأن إقرارهم على الاستقلال وحمل السلاح يُفضى إلى قتال المسلمين فى دارهم، أو مساعدة من يهاجمهم فيها،

(١) سورة التوبة الآية ٢٩، والجزية: ضريبة مالية تفرض على الأشخاص لا على الأرض.

كما فعل يهود المدينة وما حولها بعد تأمين النبى إياهم ومحالفته لهم..

«وبيَّن الغاية التى ينتهى بها القتال إذا كان الغَلَب للمسلمين فقال: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عن يدٍ وهُمْ صَاغِرُونَ﴾، أى قاتلوهم عند وجود ما يقتضى وجوب القتال، كالاعتداء عليكم أو على بلادكم، أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم، أو تهديد أمنكم وسلامتكم - كما فعل الروم فكان سببًا لغزوة تبوك - حتى تأمنوا عدوانهم بإعطائكم الجزية فى الحالَين اللذين قُيِّدَتْ بهما.. فالقَيْد الأول لهم، وهو أن تكون صادرة عن يد: أى عن قدرة وسعة فلا يُظلَمون ولا يُرْهَقون؛ والثانى لكم، وهو الصَّغار المراد به خَضْدُ شوكتهم والخضوع لسيادتكم وحكمكم... وبهذا يكون تيسير السبيل لاهتدائهم إلى الإسلام، بما يَرَوْن من عدلكم وهدايتكم، وفضائلكم التى يرونكم أقرب بها إلى هداية أنبيائهم منهم. فإن أسلموا عم الهدى والعدل والاتحاد، وإن لم يسلموا كان الاتحاد بينكم وبينهم بالمساواة فى العدل، ولم يكونوا هم حائلا دونهما فى دار الإسلام..

«ومتى أعطوا الجزية وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم، وحريتهم فى دينهم بالشروط التى تعقد بها الجزية،

ومعاملتهم بعد ذلك بالعدل والمساواة كالمسلمين؛ ويحرم ظلمهم وإرهاقهم بتكليفهم مالا يطيقون كالمسلمين؛ ويسمَّوْن أهل الذمَّة، لأن كل هذه الحقوق تكون لهم بمقتضى ذمة الله ورسوله»[1].

* * *

هكذا حدد الإسلام موقفه من المشركين ومن أهل الكتاب، الذين يعيشون فى أرض الإسلام أو يلاصقونها؛ فهل يعتبر هذا تعسفًا من الإسلام، يريد به أن يتحكم فى حرية الناس، أو يرغمهم على اعتناقه؟ أم هو نوع من الاحتياط الواجب، الذى تقوم به كل دولة لحماية أرضها والذود عن مبادئها؟

(١) تفسير المنار.